مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 27 عدد: 3 (رت 72) السنة: 2023

الشيخ أبو القاسم البرّادي الدُّمَّري(ت810/1407م) ومنهجه في جواهره

Sheikh Abul'Qassim Al-Barradi Al-Dummari(d.810AH/1407AD) and his approach in his "Jawahir"

الزرويل صالح [1]
جامعة غرداية-غرداية
Salah.zerouil@univ-ghardaia.dz

تاريخ الوصول 2022/03/31 القبول 2023/01/29 النشر على الخط 2023/03/15
Received 31/03/2022 Accepted 29/01/2023 Published online 15/03/2023

ملخص:

تتناول هذه الورقة البحثية سيرة حياة أحد مؤرخي الإباضية في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر للميلاد، ومنهجه في كتابه التاريخي الهام: "الجواهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات"، إذ يُعتبر مؤلّفه تكملة لكتاب طبقات المشايخ لأبي العباس الدرجيني الذي استغنى عن ذكر أحداث وأخبار وتراجم أيمة الإباضية في المشرق في القرن الأول الهجري، وجاء البرّادي ليتم ذلك النقص ويسدّ تلك الثغرة التي تجنبها الكثير من المؤرخين مغاربة ومشارقة، فمن هو البرّادي، وما هي خصائص كتابته التاريخية في جواهره.

استطاع أبو القاسم البرّادي بكتابه إحياء السير الإباضية كتراث تاريخي وفقهي، وأن يكون حلقة تربط السابق باللاحق، في منهج اتسم بالتاريخ العام والحولي، ثم منهج مناقبي خصصه لذكر فضائل الخلفاء الراشدين، وبعضًا من أيمة الدولة الرستمية في بلاد المغرب.

الكلمات المفتاحية: أبو القاسم البرّادي، كتاب الجواهر، منهج الكتابة التاريخية، القرن التاسع الهجري.

Abstract:

This research paper deals with the biography of Al-Barradi , and his approach in important historical book: "Al-Jawahir", as his author is considered a continuation of the book of Tabaqat Al-Dargini, who dispensed with mentioning events and biographys of Ibadia's Sheikhs in the levant in the first century AH.

Al-Barradi came to complete that deficiency and fill that gap that many Mashreq and Maghreb historians have avoided, who is Al- Barradi, and what are the characteristics of its historical writing in its "Jwahir". The author was able to revive the Ibadi biographies , in an approach characterized by general and yearly history, then a "manaqib" approach devoted to mentioning the virtues of the rightly Guided Caliphs, and some of the imams of Rustumid in the Mghreb.

Keywords: Abul'Qassim Al-Barradi, Kitab Al-Jawahir, Historiography, Ninth century AH/fifteenth AD.

[1] المؤلّف المراسل: **الزرويل صالح** البريد الإلكتروني: **salah.zerouil@univ-ghardaia.dz**

1. مقدمة:

عرف الإباضية التأليف التاريخي منذ عهود مبكرة في بلاد المغرب، ولم تتوقف أقلامهم عن الكتابة طيلة العصر الوسيط، وإن عرفت بعض الفتور في بعض مراحله لأسباب سياسية بخاصة، وكان البرّادي واحدا من بين الذين كتبوا في التاريخ الإباضي في بداياته الأولى بالمشرق. فما هي سيرة حياة أبي الفضل أبي القاسم البرّادي الدُّمَّري، وفيما تكمن خصائص ومنهج كتابته التاريخية في كتابه الجواهر المنتقاة، وفيما تمثّلت مصادره، وما أهمية كتابه بالنسبة لمن سبقه ومن جاء بعده؟

تهدف الورقة إلى التعريف بالشيخ أبي القاسم البرّادي في بيئته ومراحل تعلمه، وشيوخه ومهامه وتنقلاته، وآثاره العلمية، ثم الوقوف على أسلوبه ومنهجه في الكتابة التاريخية من خلال كتابه: "الجواهر المنتقاة فيما أخلّ به كتاب الطبقات"، وفق منهج وصفي لسيرة حياته، ومنهج تحليلي لمضامين مؤلَّفه.

2. حياة أبي الفضل أبي القاسم بن إبراهيم البرّادي

1.2 . اسمه ونسبه:

هو أبو الفضل أبو القاسم بن إبراهيم بن سليمان بن إبراهيم بن أبي عمران البرّادي الدُّمّري[1]، نسبة إلى جبل دُمّر[2]، ينتمي إلى قبيلة دُمّر المنحدرة من قبيلة زناتة، ويبدو أن أبا القاسم أو بابا قاسم أو بلقاسم اسم له، وأن أبا الفضل كُنيته[3]، كما أن البرّادي لقب عائلته الذي اشتهرت به، والتي لا زالت موجودة بحومة جعبيرة في جربة، كان مولده في حدود سنة720هـ/1321م كما يُرجِّح ذلك الشيخ سالم بن يعقوب، وذكره محمد بن زكريا الباروني ضمن شيوخ الطبقة السادسة عشر(الخمسون الأولى من المائة الثامنة750-800هـ/1349-1397م)، ولعلها فترة شبابه وكهولته، لأن سعيد بن يوسف الباروني يعتبر ولادته في أواخر الربع الأول من القرن الثامن الهجري[4].

---

[1] – أبو العباس أحمد الشماخي، كتاب السير، تح. محمد حسن، 3 أجزاء، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، 2009، 806/2؛ فرحات الجعبيري، شخصيات إباضية، مكتبة الضامري، السيب، عُمان، ط1، 2010، 236.

[2] – **جبل دمّر**: هو جزء من سلسلة الجبال الممتدة من المحيط الأطلسي نحو الشرق عبر المغرب والجزائر وتونس إلى ليبيا، وجبال دُمّر هي سلسلة جبلية تمتد من جنوب طرابلس إلى جنوب قابس، تحده غُمراسن شرقا وجبال مطماطة شمالا وسهول نفزاوة غربا وفيافي الصحراء جنوبا، وهو المسمى اليوم: جبل الحوايا، بين توجان وغمراسن، أما المنطقة اليوم فتحمل الاسم الإداري: بني خداش بتونس، وحمل الجبل اسم قبيلة بني دمر أو آيت دمر، وهم فرع من فروع زناتة أحد فروع نفزاوة. ابن حوقل أبو القاسم النصيبي، صورة الأرض، مطبعة بريل، بريل، ليدن، ط2، 1938، ص102؛ عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،2001، ص103؛ محمد الشيباني، تاريخ إباضية تمازغا، مقدمة في تاريخ الإباضية ببلاد المغرب في القرون الهجرية الأولى، نسخة الكترونية منقحة تم نشرها من السويد، 2017، ص85؛ محمد مقديش، نزهة النظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح. علي الزاوي ومحمد محفوظ، مجلدين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، 131/1؛ سعيد بن يوسف الباروني، أبو الفضل أبو القاسم البرّادي، ضمن أعلام من جزيرة جربة، مجموعة محاضرات، جمعية صيانة جزيرة جربة، الشركة التونسية لفنون الرسم، 1994، ص16؛ فرحات الجعبيري، البرّادي أبو الفضل أبو القاسم، الندوة الدولية العلمية الثانية حول:"كتب السير الإباضية"، 30-31أكتوبر-2نوفمبر2014، جربة، تونس، ص129؛ أحمد الباهي، حول ظهور قبائل دمر وزنزفة ومطماطة بجنوب شرق إفريقية، بحوث في التاريخ والجغرافيا والحضارة، مركز النشر الجامعي، تونس، 2015، ص21-34.

[3] – أبو الفضل أبو القاسم البرّادي، الجواهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات، تح. أحمد السيابي، دار الحكمة، لندن، ط1، 2014، مقدمة، ص3. أحمد السيابي، التواصل الإباضي بين عُمان والبلاد المغاربية، مكتبة الضامري، عُمان، ط1، 2014، ص165. كما أن سالم بن يعقوب ذكره باسم، قاسم البرّادي. سالم بن يعقوب، تاريخ جزيرة جربة ومدارسها العلمية، دار سراس للنشر، تونس، 2006، ص233.

[4] – سعيد الباروني، مرجع سابق، ص21؛ أحمد السيابي، مرجع سابق، ص165.

استقر البرّادي بالجبل زمانًا، وزار جبل نفوسة ثم انتقل إلى جربة، فأقام بها وبمسجد وادي الزبيب، بقية حياته ولم تضبط المصادر تاريخ وفاته، واتفقت على أنه كان في العقد الأول أو الثاني من القرن التاسع[1]، وأغلبها رجّحت سنة810هـ/1407م[2]، وهو تاريخ افترضه الشيخ سالم بن يعقوب ورجّحه الجعبيري، لأن السلطان الحفصي أبا فارس عبد العزيز (عزوز) المتوكّل على الله بن أبي العباس أحمد(796-839هـ/1394-1434م) طلب مناظرة أحد علماء جربة حوالي سنة807هـ/1404م بمحضر الحسين أحد علماء المالكية بالزيتونة[3]، يوجد ضريح الشيخ البرّادي في مقبرة البرّادي بجانب منزل العائلة القديم شمال المسجد، بأفصيل في حومة جعبيرة بجزيرة جربة، جنب أولاده محمد وعبد الله وحفيده سليمان[4].

كان لأسرة البرّادي الدور الفعّال في ترسيخ وتثبيت الإباضية بجبل دمّر وضواحيه، وانقراضها هو بداية نهاية وجود المذهب فيه، كما أن البرّاديين قد عايشوا الطور الثالث من أطوار الإباضية بدُمّر وهو دور التقلص والانقراض[5]، رغم أن البرّادي يذكر أن فترة القرن الثامن بالنسبة للإباضية عموما قد جاوزت عصر الفتن والمحن لقوله:"ولقد جاوزنا العصر الذي قال فيه رسول الله: لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر رجل فيقول: يا ليتني كنتُ مكانه، وما ذلك من كثرة صلاة ولا صيام ولكن من شدة ما يرى من الفتن"[6]، ولعل كلامه جاء بداية القرن التاسع الهجري، بعد استقراره بجزيرة جربة الآمنة نوعا ما، فالمؤرخ علي يحي معمر يذكر أن الفترة التي عاش فيها البرّادي كانت من أحرج الفترات التي مرّت على جبل دمر والجنوب التونسي، كله عصبية مذهبية، وحكم مستبد، استند على إيقاظ الفتن بين طوائف الأمة وتوسيع شقة الخلاف بين الناس[7]، كما أن البرّادي أبدى تذمّره من فساد الزمان وكثرة العدوان وهيجان الفتن واستضعاف الحق وانتصار الباطل وانقراض العلماء وذهاب العلم ودروسه وعموم الجهل وكثرة الغدر وقلّة الطمأنينة وارتفاع الأمانة وقلّة الثقة[8]، وهو ما نلمس أثره في عديد مصنفاته، وهي مواصفات الزمان والمكان في دمر ونفوسة.

---

[1] – سعيد الباروني، مرجع سابق، ص24؛
Tadeusz Lewicki, Les Ibadites en Tunisie au Moyen Age, Accademia Polacca Di Sienze E Letter; Roma, 1958, p8.

[2] – سالم بن يعقوب، مرجع سابق، ص240؛ الجعبيري: البرادي، مرجع سابق، ص130.

[3] – لم أقف له على ترجمة، ويبدو أنه من كبار فقهاء المالكية بجامع الزيتونة، فله مجلس يحضره الطلبة من جميع المذاهب، كما يفهم من كلام الشماخي، وحضوره للمناظرة –التي يبدو أنها تمت في تونس– لم يكن شكليا إنما للعمل على إفحام إباضية جربة في مختلف المسائل وإرغامهم على التخلي عن مذهبهم ودخول المذهب المالكي، وهو ما كان يسعى إليه السلطان الحفصي، ووجدتُ شيخا يحمل اسم: علي بن محمد الحسيني المحمدي الغزالي القادري الشاذلي الموحدي(حي سنة863هـ/1460م) نزيل تونس وقد وفد إليها من المشرق، عاصر السلطان أبي فارس الحفصي وله كتاب يحمل عنوان: خاتمة الفضلاء من هذا البيت وأطولهم مدة، ومؤلفات أخرى، ويبدو أنه هو المقصود بـ: الحسين. الشماخي، مصدر سابق، 2/807-808؛ محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، 5 أجزاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1994. 2/140-141.

[4] – سليمان الحيلاتي، علماء جربة المسمى رسائل الشيخ سليمان بن أحمد الحيلاتي الجربي، تح. محمد قوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998، ص76-77؛ سالم بن يعقوب، مرجع سابق، ص240؛ حسن حسني عبد الوهاب، كتاب العمر كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، مراجعة محمد العروسي المطوي وبشير البكوش، 3أجزاء، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1990، 3/608.

[5] – الجعبيري، البرّادي، مرجع سابق، ص130؛ الجعبيري، شخصيات، مرجع سابق، ص238.

[6] – البرّادي، مصدر سابق، ص11.

[7] – علي يحي معمر، الإباضية في(تونس) الإباضية في موكب التاريخ(تونس)، مراجعة الحاج سليمان بن إبراهيم بابزيز، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، عُمان، ط3، 2008، ص582؛ سعيد الباروني، مرجع سابق، ص17.

[8] – سعيد الباروني، مرجع سابق، ص18.

خلّف الشيخ أبو القاسم البرّادي أولادا نجباء سادوا بجربة وبجبل دُمّر، وهم أبو محمد عبد الله، وأبو عبد الله محمد وإبراهيم، وأحفاده أبو زكريا يحي بن عبد الله، وأبو داود سليمان بن إبراهيم البرّادي[1].

2.2 نشأته العلمية وآثاره:

دامت فترة تمدرس أبي القاسم حوالي ثلاثين سنة، إذ امتدّت من سنة725هـ/1324م وإلى غاية سنة755هـ/1344م، حسب ما ذكره سعيد بن يوسف البروني[2]، وفيها أخذ البرّادي العلم في يفرن بجبل نفوسة عن أبي ساكن عامر الشماخي(ت792هـ/1390م)[3]، والشيخ أبي موسى عيسى بن عيسى الطرميسي(ت722هـ/1322م)، ولم تذكر المصادر الإباضية مراحل تعلّم أبي القاسم الأولى بالتفصيل، ولكن يبدو أنه كان كسائر أبناء زمانه، فالعادة أن يبدأ التلميذ بحفظ القرآن الكريم، والسنة ومتون العقيدة والفقه واللغة، في مسقط رأسه، وفي كُتّاب أو محضرة قريته، أو حتى تحت ظلال الأشجار وتحت الخيام.

يذكر الشماخي أن البرّادي قد انتقل بعد جبل دُمّر إلى إلى جربة قبل انتقاله إلى جبل نفوسة، وذلك لقربها من دُمّر من جهة، ولقرابة الشيخ يعيش بجبل دمر من جهة أخرى[4]، وفي جربة أخذ عن أبي البقاء يعيش بن موسى الزواغي المغراوي الجربي بجامع بجامع ولحي، وعن الشيخ أبي البرّ صالح بن نجم المغراوي، بمسجد تاجديت في حومة فاتو بصدغيان، وما من شك في أنه كان يتردد على المدارس العلمية بالجزيرة، منها مدرسة الجامع الكبير والمشهورة بشيخها إسماعيل الجيطالي، وبذلك طال مكثه بمدارس الجزيرة لطلب العلم[5]، وهذه المرحلة بمثابة المرحلة الثانوية التي زاول فيها أبو القاسم تعليمه في مساجد ومدارس جربة[6]، ومن بين زملائه نذكر: سعيد السدويكشي وموسى الزواغي وأيوب بن يعيش الزواغي.

انتقل أبو القاسم بعد جربة إلى نفوسة؛ قلعة العلم والعلماء، فالجلوس إلى مشايخها يُعتبر إجازة علمية عالية، فنجده في بلدة يفرن النفوسية، وفي مدرسة البخابخة التي يُدرّس فيها الشيخ أبو عامر ساكن الشماخي، للاستزادة في التعلم والتعمق في ميادين

---

[1] – عبد الله ويحي ذكرهما الباروني ضمن الطبقة السابعة عشر(800-850هـ)من طبقاته، ويبدو أنه خلط بين الابن والحفيد. الشماخي، مصدر سابق، 808/2؛ محمد بن زكريا الباروني، طبقات علماء الإباضية، ورقة 68؛ سالم بن يعقوب، مرجع سابق، ص239؛ فرحات الجعبيري، نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة، المكتبة التاريخية للمعهد القومي للآثار والفنون، تونس، 1975، ص210-211؛ مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية(قسم المغرب)، 4مجلدات، المطبعة العربية، نشر جمعية التراث، غرداية، ط1، 1999، 545/3،402، 750/4.

[2] – سعيد الباروني: مرجع سابق، ص21.

[3] – هو **أبو ساكن عامر بن علي بن يسّفاو الشماخي**: من كبار مشايخ وفقهاء نفوسة، أخذ علمه عن أبي موسى عيسى الطرميسي وانتصب للتدريس خلفا له وأنشأ مدرسة خاصة بيفرن، وبعد جولة قادته لسنوات في مزغورة ومتيون من قرى الجبل، عاد إلى المسجد الكبير بمسقط رأسه حيث صار مرجعا للفتوى في الجبل وغيره إلى سنة وفاته في792هـ/1389م، تخرج على يديه جملة من العلماء الفطاحلة منهم البرّادي، كما خلّف مؤلفات منها: كتاب الإيضاح. مجموعة مؤلفين، مرجع سابق، تر529، 501/3-503؛ Taduesz Lewicki, Une chronique Ibadite, "Kitab As-Sijar" D'Abu'l-Abbas Ahmad As-sammahi, Quelques remarques sur l'origine et l'histoire de la famille des Sammahis, Revue des études islamiques, cahier 1. Paul Geuthner, Paris, 1934, p64.

[4] – الجعبيري، البرادي، مرجع سابق، ص131؛ الجعبيري، شخصيات، مرجع سابق، ص239.

[5] – سالم بن يعقوب، مرجع سابق، ص238؛ الجعبيري، البرادي، مرجع سابق، ص131.

[6] – سعيد الباروني، مرجع سابق، ص22.

المعرفة والعلوم، تلك المدارس التي أكسبته جُرأة ومهارةً وشخصية ذات استقلال فكري سريعا ما يلاحظه قارئ آثاره[1]، كما تزوّد من مكتباتها العامرة بكتب المشارقة فضلا عن المغاربة، ونفوسة التي كانت تمثل التعليم العالي المتخصص في العقيدة وفروع الفقه والوقوف عند مسائل الخلاف بين المذاهب وأعلام الفقهاء وكبار المتكلمين[2]، وبعد أن ملأ وطابه من مختلف العلوم، عاد إلى مسقط رأسه أواخر العقد الخامس من القرن الثامن الهجري.

كانت للبرّادي جولة إلى أريغ سنة766هـ/1364م، للاتصال بالإباضية فيها، وقد مرّ في طريقه عبر بلاد الجريد وسوف، كما أنه أدى فريضة الحج سنة775هـ/1373م، واتصل بإباضية عُمان[3]، ولعله اقتنى منهم كتب المذهب المشرقية، وربما استمرت اتصالاته عبر الحجاج المشارقة والمغاربة[4].

قصد البرّاديَّ تلامذةٌ في جبل دمر لما عاد إليه من نفوسة، كما جمع حوله آخرين من داخل الجزيرة ومن خارجها حين وجوده فيها بعد ذلك، منهم: أبو عثمان سعيد بن أحمد السدويكشي وأبو زكريا يحي بن أفلح الصدغياني، وولديه أبي محمد عبد الله الذي ترأّس مجلس العزّابة بعده، وأبو عبد الله محمد الذي استقر بجل دمّر بعد انتقال والده أبي القاسم إلى جربة، وحفيده أبو داود سليمان بن إبراهيم بن أبي القاسم البرّادي[5]، ولعل عددهم أكبر من ذلك بكثير مما لم تذكره المصادر، إذ يمكننا أن نعدّ معظم من عاش فترة فترة النصف الثاني من القرن الثامن وأوائل القرن التاسع في جربة ونفوسة ودُمّر تلامذةً له.

اتصف البرّادي بجملة من الصفات؛ منها:التواضع والصراحة والجرأة والشجاعة، والزهد والنزاهة والاعتدال[6]، واشتهر كعالم بعلم الكلام وكفقيه وخصوصا كمؤرخ ومفهرس[7]، كما كان ضليعا في اللغة والبلاغة والأصول والعقائد والسير والتاريخ، حيث استفاد من رحلاته العلمية فقد كان مولعًا بجمع الكتب، وبذلك كوّن لنفسه مكتبة خاصة مما جمع من الآثار، إضافة إلى ما ألّف من كتب عديدة ورسائل وأجوبة، وترك بذلك جواهر إلى جانب جواهره، خاصة وأنه ذكر قائمة هامة من مؤلفات الإباضية لمؤلفين من المشرق والمغرب منها تلك التي عاينها ومنها التي سمع عنها ولم يرها، تمثلت مؤلفاته في[8]:

رسالة الإمام محمد بن أفلح الرستمي في خلق القرآن، ولمع من سير الحلقة، ورسالة التآليف أو رسالة عن أعمال المؤلفين الإباضيين أو رسالة في تقييد كتب الإباضية، ولقد حررها بعد أدائه فريضة الحج سنة 775هـ/1373م، وهي ملحقة بكتاب الجواهر[9]،

---

[1] – سالم بن يعقوب، مرجع سابق، ص239.

[2] – سعيد الباروني، مرجع سابق، ص22.

[3] – سالم بن يعقوب، مرجع سابق، ص239؛ حسني عبد الوهاب، مرجع سابق، 608/3.

[4] – البرّادي، مصدر سابق، تقديم، ص6.

[5] – سالم بن يعقوب، مرجع سابق، ص239؛ مجموعة مؤلفين، مرجع سابق، 361/3، 402/3، 545/3، 750/4.

[6] – سالم العدالي، البرّادي حياته وآثاره، أطروحة دكتوراه الحلقة الثالثة، إشراف د. علي الشابي، الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين، الجامعة الزيتونية، تونس، 1982، ص68.

[7] – تاديوس ليفيتسكي، المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة ماهر جرار وربما جرار، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت، 2000، ص74.

8 – قد تختلف العناوين من مرجع لآخر والقائمة ذكرها كل من ليفيتسكي، مرجع سابق، ص75–76؛ سالم بن يعقوب، مرجع سابق، ص240؛ الجعبيري، البرادي، مرجع سابق، ص134–136.

[9] – سعيد الباروني، مرجع سابق، ص29–30؛ وهي التي حققها محمد زينهم محمد عرب وأحمد عبد التواب عوض بعنوان: "دراسة في تاريخ الإباضية وعقيدتها مع رسالة في كتب الإباضية"، ونشرتها دار الفضيلة بالقاهرة سنة 1994.

ورسالة موجهة إلى الشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد الصدغياني الجربي ذكر فيها حقائق وحدود أكثر مسائل العلم، وشيئا من الاعتقاد والتوحيد[1]، ورسالة الحقائق وحدود العلوم الشرعية والاعتقادات أو أطروحة المفيد في الحقائق والاعتقاد والتوحيد ومسائل العلم وحدوده، والبحث الصادق والاستكشاف عن حقائق أسرار معاني كتاب العدل والإنصاف في الفقه لأبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني[2]، وكتاب شفاء الحائم في شرح بعض الدعائم وهو منسوب لأبي بكر أحمد بن النظر العُماني، أقدم البرّادي على شرح خمس قصائد منه ولم يُكمِله، السِّفر الأول إلى الطهارات، وجُمع من الألواح من بعده إلى الزكاة[3]، ومجموعة أجوبة، الأول: الإقرار والعطية والصدقة، الثاني: الوصية وأحكامها، الثالث:كيفية إنفاق أوقاف المساجد، وكتاب جواب لبعض أهل الخلاف، لا يزال مخطوطا، فتاوى وأجوبة كثيرة تدلّ على أنه بلغ درجة الاجتهاد، وكتاب شرح العدل في أصول الفقه، تأليف الشيخ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم، ولم يُكمله[4]، إلى جانب كتابه التاريخي: الجواهر المنتقاة فيما أخلّ به كتاب الطبقات.

3 . منهجه في الكتابة التاريخية:

جاء كتاب البرّادي لتصحيح الرؤى وتوضيح المصطلحات وضبطها، وبيان حقيقتها، كما أن تأليفه إياه لم يأت سوى لنقد كتاب الدرجيني واستكمال ما أخلّ به—في نظره-؛ وذلك لعدم خوض الدرجيني في قضايا الصحابة[5]، إذ يصرّح بقوله:"والسبب الذي كتبتُ به هذا الكتاب أنّي نظرت إلى كتاب الطبقات...فرأيته في خلوّه عن ذكر الأيمة من الصحابة وبيان الفتنة وأحكامها، وكيف نجا من نجا، وهوى من هوى، عاريا من بعض المقصود، تاركا لبعض المعهود..لأنه من هناك المنبع والأصل ومنه الافتراق والفصل"[6]، على اعتبار أن تلك الأحداث هي الأساس الذي افترقت عليه الأمة إلى فرق ومذاهب، لذلك فهو استدراك على كتاب الطبقات بذكر أحداث الفتنة الكبرى، حيث أن تلك الأحداث تشكّل الجانب الأكبر والمهمّ من كتاب الجواهر[7].

ألّف البرّادي كتابه الجواهر بجزيرة جربة لما انتقل إليها للاستقرار فيها، ويبدو أن ذلك جاء بتكليف من المشايخ إذ يقول بعد وصفه لكتاب طبقات الدرجيني:"وقد كُنتُ كُلّفتُ به منذ تراءى لي عمله ونهى إليّ علمه"[8]، وهدفه من تأليفه كما يقول: "إلاّ أنه(أبو العباس الدرجيني) أغفل عن ذكر الصدر الأول، وأخلّ بذكر ما عليه المعوّل، وإنما له حظّ الخملة، واستغنى به عن التفصيل بالجملة، وأشار بالحديثين من بعيد إليه، موذنًا وزعم أن شهرته مغنية عن الدلالة عليه، فرأيتُ ذلك وصمةً أزرت بكماله وسماجةً قصّرت به عن مدى أمثاله"[9]، مُعلّلا السبب وراء تخلي أبي العباس عن الحديث في تلك الفترة هو: "كونه بين ظهراني المنتقدين

[1] – الشماخي، مصدر سابق، 807/2.
[2] – قام بتحقيقها الطالب عبد الحفيظ حشحوش في إطار أطروحة دكتوراه بجامعة الزيتونة، 2019.
[3] – الشماخي، مصدر سابق، 807/2.
[4] – نفس المصدر، نفس الصفحة.
[5] – مقرين البغطوري، روايات الأشياخ، تح. عمر سليمان بوعصبانة، مكتبة خزائن الآثار، عُمان، ط1، 2017، مقدمة الشيخ علي يحي معمر، ص67.
[6] – البرّادي، مصدر سابق، ص66.
[7] – نفس المصدر، تقديم، ص7.
[8] – نفس المصدر، ص10.
[9] – نفس المصدر، ص10.

الحاقدين من المخالفين، وتحفّظه من بغي الحاسدين والحاضرين المؤتلفين، فمن ذلك أغفل –والله أعلم– عن ذكر الفتن وعدا عن تلك المحن"[1].

ذكر البرّادي محتويات كتابه قائلا: "جمعتُ ...من آثار أصحابنا وغيرهم.. وذكرتُ فيه من الأخبار ما جرى مجرى الطرفة وخرج من حدّ الكُلفة، وذكرت فيه نُكتًا عجيبة في صفة رسول اللهﷺ وشيئا من أخباره وأخبار الخلفاء وأخبار الفتن الأربع، وذكرتُ من سمّاه الشيخ أبو عمّار في الطبقة الأولى، وجوابات الأيمة كجواب ابن إباض، وجواب محمد بن أفلح، وختمته بخاتمة في ذكر الموت"[2]، وقد امتدت أحداثه إلى أواخر الدولة الأموية في المشرق، إضافة إلى ذكر أئمة الدولة الرستمية الأوائل، وقائمة بكتب الإباضية.

يكاد ينفرد البرّادي بجواهره عن بقية كتب التاريخ الإباضي جميعا قبله، فهي تقريبا ذات منهج عرض واحد أو متشابه تقريبا، وإن اختلفت أساليب التعبير ووسائله[3]، ووصفه سعيد الباروني بأنه منهج ذو طابع تأليفي متفتح وذو خصائص يمكن تصنيفها إلى خاصيات عامة تشترك في كل تآليفه، ومميزات خاصة انفرد بها كلّ أثر على الأثر الآخر، وقد بدا في جميعها مقوّمًا للكثير من المفاهيم المنحرفة ومجددا لمختلف العادات العقلية[4].

استعمل البرّادي المنهج الحولي؛ فذكر الأحداث بالسنوات[5] في حديثه عن ابتداء التاريخ وبعد هجرة النبيﷺ إلى المدينة، ثم خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعليﷺ، وبعد ذلك جاء على ذكر فضائل الصحابةﷺ والتابعين وفق منهج طبقي يتكون من طبقتين يذكر فيهما أهم مناقب ومآثر كبار الرجال حول الرسولﷺ، ومن جاء بعدهم من أئمة الإباضية، ولم يكن كتابه كتاب سير وتراجم مثل من سبقه أو جاء بعده، وحتى أنه عنونه بالجواهر رغم ما عرفته الفترة من فتن كقطع الليل المظلم، إلا أنه غلب عليه ذكر إيجابيات الفترة وأحداثها وأخبارها بتفاصيل قد لا نجدها في غيره من الكتب السابقة، والتي تعرضت لذات الفترة، وكأنه يريد به محاكمة التاريخ والمؤرخين بالأدلة والبراهين القاطعة على براءة أهل الدعوة مما يُنسَب إليهم أو اتُّهِموا به، وحتى تبقى شهادةً تُتَناقل جيلا بعد جيل.

نجده من جهة أخرى؛ ينقل نقلا حرفيا لبعض النصوص مثلما نقله عن الدرجيني في تأسيسه تيهرت الرستمية[6]، ووقت احتضار جابر بن زيد[7]. وغيرها من النصوص التي تتحدث عن بلاد المغرب والدولة الرستمية خاصة، كما أنه نقل النصوص عن كتب المخالفين–كما أسماهم– بتصرف، إذ يلخّص ما اطلع عليه من تلك الكتب، ثم يورد ما توصل إليه على شكل أفكار مما يريد الكتابة عنه دون غيره.

---

[1] – نفس المصدر، ص10–11.

[2] – نفس المصدر، ص11.

[3] – البغطوري، مصدر سابق، مقدمة الشيخ علي يحي معمر، ص67.

[4] – سعيد الباروني، مرجع سابق، ص25.

[5] – يبدو أن له اطلاعًا على كتب المشارقة من غير الإباضية الذين كتبوا على المنهج الحولي مثل: الطبري والذهبي، ومسكويه وابن الجوزي وأبي الفدا. وإن لم يُشر يُشر إلى أحدهم.

[6] – أبو العباس أحمد الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، تح. إبراهيم محمد طلاّي، غرداية، ط2، 2007.
، 1/41–42 وما يقابله عند البرّادي في ص193.

[7] – الدرجيني، مصدر سابق، 2/ 12–13، وما يقابله عند البرّادي ص246–247.

1.3.الإسناد:

اعتمد البرّادي الإسناد في حديثه عن أهل المشرق وأغفله في ذكره لأهل المغرب، أي أنه ذكر سند رواياته فيما يخص أخبار الرسولﷺوالخلفاء الراشدينرضي الله عنهممن بعده، فيما يختفي تقريبا عند حديثه عن الدولة الرستمية وأيمتها.

تميز إسناده بذكر مصدره المدوّن أولاً ثم يورد أسماء الرواة، وقد انفرد البرّادي بهذه الميزة عن غيره ممن سبقه ومن جاء بعده، ومثال ذلك يقول: "ومن المسند أبو عبيدة عن جابر عن عائشة"[1]، ويُحتمل تفضيله لهذه الطريقة للتفريق بينه وبين كتب المخالفين التي استقى منها بعض رواياته، وهذه الطريقة من الإسناد طبّقها مع كتب الإباضية دون غيرهم، وفي ذكره للأحاديث النبوية، كما أن أسانيده تعود لكبار الصحابة والتابعين من أمثال عبد الله بن مسعود، وعائشة، وأبي عبيدة والربيع بن حبيب، وابن عمررضي الله عنهم، وغيرهم. ومنهم غير المشهورين مثل: عامر الشعبي وجُبير بن بصير ووهب بن عبد الله الأزدي، كما أن نسبة معتبرة من سنده تعود لرواة من الإباضية، أما الآخرون والذين يدعوهم بأهل الخلاف أو المخالفين فلا نجد لهم حضورا كبيرا في أسانيده، ونجد أنه يقتصر على ذكر اسم الراوي مختصرا إذا كان من المشهورين، أما إن كان من المغمورين فعادة ما يذكره باسمه واسم أبيه وكُنيته، كما أن نسبة كبيرة من الرواة هم ممّن استوطن الكوفة والبصرة.

يلاحظ اعتماد البرّادي على أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة كسند في العديد من الروايات عن النبيﷺ وأبي بكررضي الله عنه، أما عن عمر بن الخطابرضي الله عنهفلم يسند رواياته إلى أحد سوى ذكره مصطلح: قال[2]، ويقصد به ما هو مذكور في كتاب أهل الخلاف الذي نقل منه رواياته، أما عن عثمانرضي الله عنه فقد اعتمد في سنده على مجموعة من التابعين منهم: أبو سفيان محبوب بن الرحيل، وسليمان بن الأعمش، وغيرهما، في حين أن الروايات عن علي بن أبي طالبرضي الله عنه فكان عبد الملك بن أبي سليمان الفزاري وأبو ميمونة، وغيرهما من بين مصادر سنده.

كانت بعض رواياته مسنودة إلى مشايخ لم يذكرهم، أو أنه أخذها من كتب تعود للمخالفين أو لغير أصحابه—حسب قوله–، مثل قوله: "رواية من غير كتب أصحابنا"، "وجدت في كتب بعض المخالفين"، "قال صاحب الكتاب المخالف"، و"قال بعضهم"، و"قال قوم"[3]، ويبدو أن أسانيده في هذه الحالة قد جمعت بين ما هو للإباضية وغيرهم، فحين اعتماده على كتب أهل الخلاف نجده يذكر ذلك في بداية حديثه، ثم يُشير إلى ذات الكتاب بكلمة: "قال"[4]، ولم يُحدد من هو القائل، ونجد ذلك في حديثه عن النبيﷺوعن الخلفاء الراشدينرضي الله عنهم.

2.3.استخدامه للآيات القرآنية:

إذا تتبعنا مواضع الآيات التي ذكرها البرّادي تحت عناوين كتابه نجدها:

–**عصر النبوة:** وردت في هذه الفترة الأولى آيات تخص حياة الرسولﷺالشخصية منها: الوحي والمعجزات مثل: الآية الكريمة: ﴿ **اقْرَا بِاسْمِ رَبِّكَ الذِي خَلَقَ، خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَا وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ، الذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾[5]،

[1] – البرّادي، مصدر سابق، ص45.

[2] – البرّادي، مصدر سابق، ص59،60،61.

[3] – نفس المصدر، انظر الصفحات: 21،28، 64، 108.

[4] – نفس المصدر، انظر الصفحات: 28،29،31،36،37،38،39،40،47،48،52،55،60،61.

[5] – العلق، الآيات، 1–5.

وأخرى عن زواج الرسولﷺ﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ**﴾[1]، ومنها بعض الآيات المتعلقة بالمعاملات والحديث مع النساء من وراء الحجاب، وفرض الجمعة[2].

-خلافة أبي بكر:

عرفت خلافة أبي بكر الصديق بقضية المرتدين فقد وردت في نصوص الجواهر آيات عن أحد أركان الإسلام الرئيسية وهو الزكاة في قوله:﴿**خُذْ مِنَ اَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً**﴾[3]، وأخرى في النفقة، وعاقبة الظلم[4].

-خلافة عمر:

لم ترد في فترة حكم الفاروق عمر بن الخطابﷺ آيات إلا آية واحد تتعلق بتولية عثمان:﴿ **فَهَلْ عَسِيتُمُ، إِن تَوَلَّيْتُمُ، أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمُ،**﴾[5].

-خلافة عثمان:

بدءا من خلافة عثمان بن عفان ﷺ يتوالى ذكر الآيات القرآنية بصفة متفاوتة وفي مواقف مختلفة، منها اتقاء الفتنة مجموعة آيات، وتحريم الرزق، وفي المعاملات، صدقُ عثمان، وموقف علي من عثمان، أتباع عثمان، والفئتان المتقاتلتان[6].

-خلافة علي:

كما جاءت آيات عديدة في فترة حكم علي بن أبي طالبﷺ منها: آيات قضية التحكيم، والنهروان، والفتنة[7].

-فضائل الصحابة:

وردت بعض الآيات في باب فضائل الصحابة والتابعين، لكن الفتن قد ألقت بظلالها على مناقبهم ومآثرهم، فنجده يورد آيات تخص التحكيم﴿ **وَمَنَ اَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾[8]، و أخرى في العقيدة، التحقق من الأخبار[9].

-رسالة عبد الله بن إباض إلى عبد الملك:

وردت آيات كثيرة من مختلف سور القرآن، فيها نصائح للخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، استشهد بها لتوضيح العواقب من الاستبداد والظلم[10].

-رسالة الإمام الرستمي محمد بن أفلح في خلق القرآن لعموم المسلمين:

---

[1] – الأحزاب، الآية 37.

[2] – البرادي، مصدر سابق، انظر الصفحات: 36، 44.

[3] – التوبة، الآية 103.

[4] – البرادي، مصدر سابق، انظر الصفحات: 51، 53.

[5] – محمد، الآية 22.

[6] – انظر عنها الصفحات: 66،70،78،79،81،97،108.

[7] – انظر عنها الصفحات: 137،140،144،148،152،153،160،161.

[8] – المائدة، الآية 50.

[9] – انظر عنها الصفحات: 172،173.

[10] – انظر عنها الصفحات: 175-192.

وقد وردت في رسالته آيات فيما اختلف فيه الفقهاء من مسائل عقدية لاسيّما قضية خلق القرآن، ووضّح ذلك بالدليل والبرهان، إضافة إلى حديثه عن الكلام[1].

-الدولة الرستمية:

لم يغفل البرّادي عن الرستميين ودولتهم، فأورد آيات تخص خطبهم في الجمعة ومواضيعهم، وكان لذلك نموذجًا، خطبةُ الإمام أبي حاتم يوسف بن محمد[2].

-خاتمة الموت:

ذكر البرّادي آيات عن الموت وسكراته، وحرص الإنسان على الحياة وحال المؤمن والكافر عند الاحتضار والخاتمة[3].

تكون آياته أحيانا كاملة وأكثرها عبارة عن أجزاء آيات، وهو يلجأ إلى ذلك حسب حاجته منها، كما نجد تكرار بعض الآيات لكن يوردها في مواقف وسياقات غير التي ذكرها فيه أول مرّة، وقد أراد بها البرّادي تبيان مواقف كل طرف وحقيقة ما جرى في تلك الفترة المظلمة من أحداث، فالكل كان متمسكا بالقرآن كمصدر أوّلي مستشهدا به في قراراته، ليثبت أحقيته على الآخرين، بمعنى أن هناك توظيفًا سياسيا وتوظيفا عقديا لجميع هذه الآيات.

3.3.استخدامه للحديث النبوي:

لم يكن حجم الأحاديث النبوية معتبرا مقارنة بحجم الآيات القرآنية، وقد ورد العدد الأكبر في باب فضائل الصحابة والتابعين، أما باقي العناوين فلم يرد فيها سوى حديثان أو ثلاثة.

بدءًا بمقدمته فقد أورد حديثا عن النبي في موضوع تغير الأحوال وتمني المرء الموت، قبل أن يرى تلك المصائب[4]، ثم سلسلة من الأحاديث ذكرها عند تفسيره لمقدمة كتاب طبقات الدرجيني[5]، كما ذكر أخرى في ابتداء التاريخ[6]، أما في حديثه عن الخلفاء الراشدينﷺ فنجد أربعة أحاديث نبوية وردت عند أبي بكر، وحديث واحد عند عمر بن الخطاب وحديثين عند عثمان بن عفان، في حين لم يذكر أي حديث نبوي عند علي بن أبي طالب[7]، ووردت مجموعة أحاديث في فضائل الصحابة والتابعين[8]، مثلما ورد حديثان في خاتمة الموت[9].

بذلك نلحظ توزيعا غير منتظم للأحاديث النبوية الواردة، فالدولة الرستمية وأيمتها وأخبارها لم نجده يذكر أي حديث فيها، ولم يُقلِّد سابقيه في إيراد أحاديث تُبجِّل البربر أو الفرس، وقد يعود ذلك لنمط الأحداث الواردة أو لتفضيله الاختصار، أو لاعتباره

---

[1] – انظر الصفحات: 202-218.

[2] –البرادي، مصدر سابق، انظر الصفحات: 220-225.

[3] – انظر الصفحات: 240-242.

[4] – نفس المصدر، ص11.

[5] – انظرها في الصفحات: 15،13، 17،16.

[6] – انظرها في الصفحات: 43،41،40.

[7] – انظرها في الصفحات: 74،73،59،51،49،48.

[8] – انظرها في الصفحات: 166-174.

[9] – انظرها في الصفحتين: 242،241.

لها موضوعة لم تُقنعه، ومعلوم أن أغلب أخبارها منقولة إما من طبقات الدرجيني، أو أخبار أبي زكريا أو ابن الصغير، كما نلاحظ ذكره للأحاديث في مواضيع دينية أو لها علاقة بالعقيدة والمعاملات، أما الأبواب التاريخية فتكاد تختفي عنها.

اعتمد البرّادي في ذكر أحاديثه على مسند الربيع بن حبيب الذي أشار إليه في بعض المرات، إما باسمه أو باسم مسنده، وهو معتمد الإباضية في الحديث النبوي.

4.3.استخدامه للشعر:

اهتم البرّادي بالشعر وذكره في كتابه، ففي مقدمته أورد أبياتا تتعلق بكتاب الطبقات وما قد يكون فيه من نقص، وهي أبيات لم يذكر قائلها، وهي تعود لجارية رفض الخليفة هارون الرشيد شراءها لما عرضها عليه الأصمعي، وعند خروجها أنشدت تلك الأبيات التي كانت سببا في قبوله إياها، وأبيات في شرحه لكتاب الطبقات تعود لذي الرمّة وأخرى لأبي تمّام[1]، وبيت في مدح رسول الله ﷺعلى لسان علي بن أبي طالبﷺ[2]، وآخر في ابتداء الوحي لم يذكر البرّادي صاحبه ويعود لدُريد بن الصمّة الجاهلي[3]، الجاهلي[3]، وآخر في باب ابتداء التاريخ، لم أقف على قائله[4]، ثم تختفي تقريبا عند الخلفاء الراشدينﷺ إلى ذكر الفتنة وأحداث عثمان إذ ترد في شأن ذلك قصيدة بها أحد عشر بيتا، قالها عبد الرحمن بن حنبل الجُمحي، وأخرى في شأن أفعال عثمان قالها محمد بن حنيفة في تسع أبيات[5]، ونجد أبياتا وردت لما حمي الوطيس في ميدان الحرب والمعركة منها معركة صفين ومعركة النهروان[6]، النهروان[6]، وأبياتا في مقتل علي بن أبي طالبﷺ قالها عمران بن حطّان الشيباني[7]، وعددها ستة أبيات.

ما يمكن ملاحظته أن أشعاره التي أوردها تعود إلى شعراء من المشرق منهم من عاش في العصر الجاهلي ومنهم من عاصر الرسول ﷺ والخلفاء ومن بعدهم، ومنها أبيات لم يذكر أصحابها لكنها وردت على لسان بعض الصحابةﷺ تمثّلا في مواقف مختلفة[8]، وأطول الأبيات الواردة كانت عن بكر بن حماد في اعتذاره للإمام أبي حاتم يوسف بن محمد حيث فيها ثلاثة عشر بيتًا[9]، بيتًا[9]، وفي حالة واحدة يذكر شطر بيت من الشعر دون الشطر الآخر[10].

وقد ذكر بعض أسماء الشعراء الذين أورد مقاطع من شعرهم، ولم يذكر مصدره فيها، والغالب أنها أُخذت من كتب مدوّنة كانت بين يديه، أو كانت متداولة على ألسنة أهل العلم، كما يمكن أن نلاحظ جمعه للشعر من أية جهة، والفترة فترة صراعات قبلية أكثر منها مذهبية، حيث ستتبلور تلك الحركات شيئا فشيئا، لذا نجده ينقل شعره من مصادر شتى، منهم من سيصبح فيما

[1] – البرّادي، مصدر سابق، ص18.
[2] – نفس المصدر، ص23.
[3] – نفس المصدر، ص25.
[4] – نفس المصدر، ص34.
[5] – نفس المصدر، ص70-71، 106-107.
[6] – نفس المصدر، انظر الصفحات: 120-127، 154-155.
[7] – نفس المصدر، الصفحات: 163-164.
[8] –انظر مثلا الصفحات: 86، 100، 101.
[9] – نفس المصدر، ص224-225.
[10] – نفس المصدر، ص194.

بعد من أهل الدعوة أو الإباضية كعبد الله بن يحيى[1]، لكن النسبة المعتبرة من أشعاره تعود لغيرهم، فالمشرق وقتئذ لم تظهر فيه بعد النزعة العصبية، والأشعار كانت متداولة عند كل الشعوب والأجناس، عربهم وعجمهم، في الجزيرة وخارجها.

5.3.استخدامه للأمثال:

لم يول البرّادي للأمثال والحِكَم اعتبارا فلم يرد في كتابه سوى مَثلٌ واحد وهو: "غَلَّ يَدًا مُطلِقُها، واستَرَقَ رَقَبَةً مُعتِقُها"، وهو مثل يُضرب لمن يُستعبد بالإحسان إليه، وقام بشرحه مع ما شرح من كتاب عبد الله بن إباض إلى عبد الملك بن مروان[2].

6.3.استخدامه للتواريخ والسنوات:

أشار البرّادي للتأريخ وأهميته، وذكر كيف أن العرب لم تكن تؤرخ على أصل معلوم، وإنما تؤرخ بالقحط والعام، وأن أول من أمر بالتأريخ هو عمر بن الخطابﷺ، كما أن البرّادي سلك في جواهره المنهج الحولي—كما ذكرنا آنفا- خاصة ما تعلق منها بحياة النبي وغزواته والحوادث الواقعة، وهي تبتدئ من باب ابتداء التاريخ إلى غاية وفاة الفاروق عمر، ويأتي بذكرها بقوله: "وفي السنة كذا" ثم يذكر وقائعها بتسلسل مصدّرا تلك الأحداث بقوله: "وفي هذه السنة"، حيث يذكر تاريخ وفاة النبيﷺ والخلفاءﷺفي آخر الأحداث باليوم والشهر والسنة، وقد بدأت من السنة الأولى للهجرة وإلى غاية السنة الثالثة والعشرين، ثم بعد ذلك لا يستمر على نفس المنهج، وإنما يورد السنوات في سياق الأحداث، مثلما ورد عند خلافة عثمان بن عفان، وأحداثه وعلي بن أبي طالب[3]، كما أنه ذكر تاريخ وفاة بعض كبار الصحابة والتابعين وأيمة الرستميين من غير الخلفاء إما بذكر السنة فقط مثل: معاذ بن جبل وأبي عبيدة والإمام أبي اليقظان[4]، أو بذكر اليوم والشهر مثل: عائشة[5]، والوحيد من التابعين الذي ذكر تاريخ ميلاده ووفاته هو جابر بن بن زيد[6]، وواضح أنه نقلٌ من كتاب من كتب المخالفين —مثلما ذكر- وليس بمنهج جديد استحدثه.

ذكر البرّادي في السنة الأولى من هجرة الرسولﷺإلى المدينة أعمالا، قام بها بالأيام والأشهر، منها: هجرته ووصوله المدينة ومولده، ونزوله بقباء ورحيله عنها[7]، ولم يذكر تلك التفاصيل عند ذكره للخلفاء الراشدينﷺ.

أهمل ذكر ما حدث في السنة الرابعة عشر والخامسة عشر للهجرة-كما ذكر-، ولم يذكر سبب ذلك[8]، كما ذكر أيضا أنه تجاوز ذكر حوادث الفترة ما بين السنة العشرين إلى السنة الثانية والعشرين[9]، ولعل تلك السنوات لم تشهد أحداثا كبيرة مما يستلزم ذكرها، أو أنه آثر الاختصار والاقتصار على الأهم دون المهم.

---

[1] – البرّادي، مصدر سابق، ص188.
[2] – نفس المصدر، ص185- 187.
[3] – نفس المصدر، ص64-65، 110.
[4] – نفس المصدر، ص166،167.
[5] – نفس المصدر، ص171.
[6] – نفس المصدر، ص173.
[7] – البرادي، مصدر سابق، ص29.
[8] – نفس المصدر، ص56. وبالعودة إلى الشماخي نجد أنه ذكر فيهما فتح دمشق وما حولها، ووقعة اليرموك والقادسية. الشماخي، مصدر سابق، 131/1.
[9] – البرّادي، مصدر سابق، ص59.

7.3.تحديد الأماكن وذكر القبائل:

ذكر البرّادي أحداثه زمانا ومكانا، وبما أن جلّ موضوعات كتابه عن بلاد المشرق، فقد أتى على وصف الكثير من الوقائع التاريخية ميدانيا، فنجده يذكر كُلاًّ من: مكة والمدينة حيث مجال حياة النبيﷺوتحركاته والخلفاء الراشدين والصحابةرضي الله عنهم، ضف إلى ذلك أسماء الغزوات ومواقعها، وأسماء بعض القبائل العربية في الجزيرة العربية، ثم البصرة والكوفة عند ذكره لأحداث الفتنة، ونجده يذكر مواقع أخرى مثل: بئر أريس، واليمن وحمص وغيرها، وهو بذلك يقتصر على المجالات التي جرت فيها الأخبار والأحداث دون غيرها، كما ذكر مدنا وقرى في بلاد المغرب ولم تكن بالعدد الكبير مثل: تيهرت الرستمية وتاكرامت وأهل الجبل(دمّر)، وأهل الجزيرة(جربة)، وجبل نفوسة وجبل أوراس، كما أنه اهتم بشرح بعض أسماء الأماكن وسبب تسميتها مثل: بدر وجبل الرقاع في المشرق[1]، وتاكرّامت في المغرب.

8.3.استخدامه للأساطير والكرامات:

لم يشذ البرّادي عن القاعدة العامة لمن سبقه من المؤرخين الذين أوردوا كرامات وأساطير بطريقة متفاوتة، لكن بما أن البرّادي يتحدث عن النبيﷺوالخلفاء والصحابةرضي الله عنهم بالمشرق، فسيتبادر إلى الذهن أنه سيذكر معجزات النبيﷺوكرامات لصحابته، وهو ما وجدناه في الكتاب، فمن المعجزات: دعاء الرسول بعد جدب الأرض[2]، والشاة المسمومة التي كلّمت النبيﷺ، والعطش الذي أصاب المسلمين يوم تبوك[3]، وماء الوضوء[4].

أما الكرامات فلم يذكر منها الكثير، فقد أورد واحدة لأهبان بن أويس مع الذئب، وشريك النميري الذي أخذه الملائكة إلى الجنة، والنار التي خرجت في خيبر، وخاتم النبيﷺالذي سقط في بئر أريس بالمدينة[5]. أمّا الأيمة الرستميون فلم يذكر لهم كرامات أو خوارق حصلت لهم، ويبدو أنه هو الذي لم يشأ ذكرها، فكتابه أساسا عن أهل المشرق، وتلك المعجزات والكرامات التي ذكرها لم يعقّب عليها ولم يعلق وكأنه مسلّم بها مادامت مذكورة في المصادر وتناقلتها عن ثقاة.

9.3.النقد في رواياته:

تميّز البرّادي عن غيره من كتُّاب السير الإباضية بشرحه للكثير من المصطلحات والجمل، التي ذكرها حتى لا يدع مجالا للُّبس والغموض لمن يطّلع على كتابه، ونجد ذلك بعد قوله: "معناه"، أو"يعني"، أو "أيْ"، ثم يتبعها بشرح ذلك المصطلح أو الكلمة[6]،كما الكلمة[6]،كما يرى رأيا آخر ويورده ونجد ذلك أمام استخدامه لكلمات تشير إلى ذلك منها: "فأقول"، و"قلتُ"[7]. أما نقده فلم يرد

[1] – نفس المصدر، ص33.
[2] – نفس المصدر، ص38،39.
[3] – نفس المصدر، ص40.
[4] – نفس المصدر، ص41.
[5] – نفس المصدر، ص37، 56، 58، 65.
[6] – البرّادي، مصدر سابق، ص27، 34، 241،65،61،56،41،39،36.
[7] – نفس المصدر، ص28، 43،49.

يرد إلا في رواية واحدة تتحدث عن مهدي النفوسي الويغوي الذي ذُكر بأنه صدّ مكائد نفاث بن نصر، ويورد البرّادي الدلائل القاطعة بأن نفاث عاش في عهد الإمام أفلح[1].

كما أنه كان يتوقع انتقاد المنتقدين لكتابه، لكن لم يأخذ ذلك بعين الاعتبار[2]، فقد خاض في الحديث عن فترة زمنية حساسة يمكن اعتبارها من الطابوهات لدى الإباضية، لكن بشجاعته وإصراره أراد سرد الحيثيات وتوضيح الأمور لبني جلدته ولأهل الخلاف جميعا، حتى يتم تصحيح الكثير من الأخطاء والزلات التي بها اتهم الإباضية وألصقت بهم ظلما وعدوانا عبر التاريخ، وكما أنه برّأ نفسه من أخطاء النُّساخ وتصحيفهم وتحريفهم، ويبدو أن الظاهرة قد عمّت في زمانه[3].

10.3.الإيجاز:

يبدو أن البرّادي كان يميل إلى الاختصار وعدم الإطناب، وذلك ما نراه جليا في حجم الكتاب الصغير، ونصوصه المذكورة عن الفترة النبوية والخلافة الراشدة والصحابة، وكان بإمكانه التوسع وذكر تفاصيل وحيثيات كل خليفة، لكنه آثر الاقتصار على الأهم، فهو يدعو من جهة أخرى قرّاءه إلى العودة إلى الكتب المذكورة في كتابه، كما أنه أشار في بعض المواضع إلى عدم الإطناب من ذلك أنه ذكر شعرا وقال إلى آخر القصيدة[4]، وفي موضع آخر يقول: وفيما ذكرنا كفاية[5]، كما أن بلاد المغرب لم يعطها حقها حقها من الأخبار والروايات وأشار إلى بعض منها.

11.3.الحياد:

يبدو حياده واضحا في كتابه فلم يُبد تعصبا لفرقة دون أخرى أو مذهب دون الآخر، وجاء ليذكر حقائق الأمور مثلما سمعها وذكرتها مصادره، كما أنه أبدى موقفًا ممّن أسماهم بأصحابنا من فتنة عثمانﷺ[6]، وهي مجموعة أقوال لصحابة وتابعين محسوبين على أهل الدعوة.

12.3.الترجيح:

عندما لا يتأكد البرّادي من معلومته يقول: الله أعلم، حتى ينفي عنه ثقته في مصدره، ويترك مجالا للقارئ في التحقق منها،[7] منها،[7] وأحيانا يورد الروايتين كما سمعهما أو وجدهما في مصادره مثل ما جاء بعد اعتراف زينب بنت الحارث للرسولﷺبتسميم الشاة، فعفا عنها وفي رواية أن الرسولﷺأمر بقتلها،[8] كما أنه يرجح بين الآراء ويذكر ما يراه شخصيا مثل صلاة الجمعة ووجوب فرضها خلف الجبابرة أو غيرهم[9].

---

[1] – نفس المصدر، ص225.
[2] – نفس المصدر، ص11.
[3] – نفس المصدر، ص11.
[4] – نفس المصدر، ص124، 126.
[5] – نفس المصدر، ص235.
[6] – البرادي، مصدر سابق، ص66.
[7] – نفس المصدر، ص28، 173.
[8] – نفس المصدر، ص40، 61.
[9] – نفس المصدر، ص45.

4. أسلوبه:

يذكر المؤرخ علي يحي معمر أنّ البرّادي من الذين"استعملوا لغة العنف والحدّة في مناقشة مسائل الخلاف بين المذاهب أو بين العلماء أنفسهم، حتى تبلغ درجة التجنّي—في نظرنا نحن-وحتى يتجاوز عنف النقد فكر الإنسان وسلوكه إلى صفاته الشخصية...وهذا كان مقبولا ومستساغا وظاهرًا لا يعاب"[1] في العصور الماضية.

كتب البرّادي بأسلوب سهل بسيط خال من الألفاظ والجمل المستعصية، ومن الأساليب الأدبية والمحسنات البديعية، وحتى أنه قام بشرح العديد من الكلمات الواردة التي نقلها من مصادر مدونة من كتب غير الإباضية.

1.4.استخدامه البربرية والعامية:

ينتمي البرّادي إلى جبل دمّر الذي كانت تستقرّ به قبائل بربرية زناتية، ورغم ذلك إلا أنه لم يؤثر ذلك في كتابه، وهدفه أن يطلع عليه العربي الذي يفهمه بسهولة، والبربري الذي عادة ما يكون له نصيب من الثقافة العربية تمكنه من قراءته وفهم مضمونه، من الإباضية وأهل الخلاف جميعا، فلم نجد أي جملة أو كلمة بربرية فيه، ماعدا ذكره لمصطلح واحد وترجمه إلى العربية نقلا مما ورد عند الدرجيني، وهو الموضع الذي نزله عبد الرحمن بن رستم ويسمى: تكرّامت، وتفسيرها: الدفّ[2]، وإن كان الدرجيني قد ذكرها باسم: تاقدمت، ويبدو أن هناك تصحيفًا من الرواة أو النسّاخ، كما أننا لم نجد أية عبارة بالعامية العربية، فقد كتب بالعربية الفصحى التي يفهمها العاميّ وطالب العلم على حدّ سواء.

5. مصادره:

يبدو أن التميّز عند البرّادي مسّ حتى مصادره، فمن جهة نجده ينقل كثيرا عن كتب المخالفين، ومن جهة أخرى نجد أن أغلب موارده هي كتب ومؤلفات، عكس من سبقه من المؤرخين الذين كانت مصادرهم شفوية أكثر منها مدونة، كما أن ميزته أنه كان يحيل على مصادره[3]، ومن بين تلك المصادر:

1.5. المصادر الشفوية:

لم نجد في صفحات الجواهر ما يُشير إلى أنه قد أخذ روايات سماعية عن أشياخ أو أشخاص بعينهم، فهو بذاته لم يذكر ذلك، وبما أن الفترة التي تعرّض لها وهي العصر الذهبي للإسلام حيث النبيﷺوالصحابة والخلفاء الراشدونﷺ، فكلّ مصادره إنما هي مبثوثة في بطون الكتب، والفترة بعيدة عنه زمنا بسبعة قرون أو أكثر، لذلك فضّل الاستعانة بكتب غير الإباضية الموثوق بهم عنده.

2.5. المصادر المكتوبة:

يبدو أن مجموعة ضخمة من الكتب كانت بحوزة البرّادي إباضية وغير إباضية، أمكنه الاطلاع عليها، فمن جملة المؤلفات الإباضية التي تسنّى له الوقوف عليها واستعمالها كمصادر له، يذكر أنه نقل عن **الشيخ أبي عمار عبد الكافي** في طبقته الأولى،

[1] – البغطوري، مصدر سابق، مقدمة الشيخ علي يحي معمر، ص62.
[2] – البرّادي، مصدر سابق، ص194.
[3] – سعيد الباروني: مرجع سابق، ص25.

كما اطلع على **كتاب الطبقات للدرجيني** الذي كان بمثابة تبصرة وتذكرة له[1]، وأنه كانت بين يديه نسختان، فتخيّر أحسنه[2]، إلى جانب **سير أبي زكريا الورجلاني** الذي اعتمده في حديثه عن الدولة الرستمية وأئمتها وأخبارهم[3]، أكثر من اعتماده على طبقات الدرجيني في ذلك، **وكتاب في العقيدة لأبي سهل الورجلاني**[4]، **ومسند الربيع بن حبيب الفراهيدي** الذي أشار إليه مرات عدة[5]، **وكتاب لأبي محمد بن بركة** لم يذكر اسمه[6]، **وكتاب الصلاة للأشياخ**[7]، **وكتاب الزكاة للأشياخ**[8] أيضا، **وكتاب العدل والإنصاف لأبي يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي الورجلاني**[9]، **وأبي سفيان محبوب بن الرحيل**[10]، **وكتاب سالم بن الحطية الهلالي**[11]، **وكتاب الشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف**[12]، الذي ذكره مرة واحدة، و**"سيرة" تُنسب للشيخ أبي الحسن علي بن محمد البسيوي**[13]، كما وقف على كتاب بنفوسة بخط الشيخ إسماعيل بن موسى الجيطالي، ورسالة عبد الله بن إباض إلى الخليفة عبد الملك بن مروان، مثلما أن هناك مؤلفات لم يذكر مؤلفها ولا عنوانها وإنما أشار إليها بـ: الآثار، وكأنه قد اطلع على مجموعة منها ولخص ما فيها، دون ذكرها جميعا.

واعتمد على مؤلفات غير الإباضية التي كان يدعوها بـ: كتب المخالفين التي ذكر منها: كتاب الثعالبي، ولم يذكر عنوانه، ويقصد به كتاب: "الجواهر الحسان في تفسير القرآن"، وكتاب "إحياء علوم الدين" للإمام الغزالي، وابن الصغير في أخباره عن الدولة الرستمية الذي ذكره بالاسم مرة واحدة، وأبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي في "مشكله"، وكتاب العقد[14]، لعله كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، ولعله اعتمد أيضا كتاب الأعلام الذي أخذ منه الشماخي عديد رواياته[15]، وهو منسوب لابن قتيبة.

أشار إلى أنه استعان بروايات من كتب لم يذكرها، بقوله:"وفي رواية أخرى من غير كتب أصحابنا"، و"وجدتُ في كتب بعض المخالفين"[16]، و"قال صاحب الكتاب المخالف"[1]، و"وجدتُ في بعض كتب أهل الخلاف"[2]، و"وقفتُ في بعض كتب

[1] – البرّادي، مصدر سابق، ص193،11.
[2] – نفس المصدر، ص 10.
[3] – نفس المصدر، ص225.
[4] – نفس المصدر، ص17.
[5] – نفس المصدر، ص29.
[6] – نفس المصدر، ص44.
[7] – نفس المصدر، ص45.
[8] – نفس المصدر، ص48.
[9] – نفس المصدر، ص50، 107.
[10] – نفس المصدر، ص58، 163.
[11] – صححه السيابي بأنه: سالم بن ذكوان الهلالي. البرّادي، مصدر سابق، ص62، 115، 117، وهامش 1 ص62.
[12] – نفس المصدر، ص161.
[13] – البرادي، مصدر سابق، ص163.
[14] – نفس المصدر، ص105.
[15] – الشماخي، مصدر سابق، 173/1.
[16] – نفس المصدر، ص28.

المخالفين"[3]، ويبدو أنها كانت في متناوله، ولا ندري ما سبب إخفائه لعناوينها وأسماء مؤلفيها، فمن المحتمل أن ذلك يعود إلى التشديد من الأخذ عن كتب المخالفين لدى الإباضية، حيث كان القيام بذلك يعدّ معصية وسببا للخروج من المذهب، مما جعله يتحاشى ذكر مصادره من أهل الخلاف.

6. خاتمة:

يعتبر الشيخ أبو الفضل أبو القاسم البرّادي(ت810هـ/1407م) أشهر من كتب في التاريخ من الإباضية المغاربة في القرن 9هـ/15م، وفي كتابه "الجواهر" استطاع أن يجمع روايات عدة من كتب شتى عن الفترة النبوية والراشدية إلى غاية نهاية الحكم الأموي في المشرق، ولذلك ألّف كتابه لما رأى أن هذه الفترة الزمنية الحساسة لم تلق العناية من قِبل سابقه الدرجيني في طبقاته، فآثر البدء بها، وبذلك يمكننا جمع كتابيهما في كتاب واحد، جزؤه الأول للبرّادي وجزؤه الثاني للدرجيني.

غلب على كتاب البرّادي المنهج الحولي، إذا اعتبرنا أساسا أنه كتاب يخص القرن الأول الهجري في المشرق، فقد اتبع منهج من سبقه من مؤرخي المشرق والذين اقتبس منهم طريقة كتابته، كما أنه خالف كتّاب السير الإباضيين قبله، فلا وجود لتراجم ومناقب وفضائل وكرامات مثلما عند من سبقه، وبذلك انفرد عن الخط السِّيَرِي العام للمشايخ مُحدِثًا تغييرا في المنهج، متجها بكتابه اتجاها سياسيا لا على مستوى المشرق فحسب، وإنما حتى عند ذكره لأيمة الرستميين وأخبارهم بالمغرب، بأسلوب سهل بسيط بعيد عن المحسنات البديعية واللغوية.

اعتمد البرّادي المصادر المختلفة من إباضية ومن غير الإباضية، وكان بذلك أول المؤرخين الإباضيين الذين فتحوا الباب أمام الاعتماد على مصادر من غير المذهب الإباضي، منها تلك التي أشار إليها بعنوانها واسم مؤلّفها، ومنها تلك التي لم يذكر منها سوى العنوان أو المؤلف، كما أنه اختار إتمام جواهره بقائمة الكتب المتداولة في زمانه، المشرقية منها والمغربية، وأغلبها كتب عقيدة وفقه إباضي، وقد أفادتنا كثيرا لمعرفة عناوينها ونسب مؤلفيها، وعدد أجزائها وإن كان أغلبها من المفقودات.

ولم تتوقف عجلة السير الإباضية في المغرب عنده، بل جاء الشماخي بعده جامعًا لكلّ ما كُتب من السير قبله، محاولا وضع موسوعة سير شاملة، وسَيُسَمِّيها: "السير"، وتبقى دراسة كتب السير ومشايخ الإباضية بحاجة إلى قراءة متأنية لكل عالم ولكل كتاب، مع الوقوف على منهجه في الكتابة ومقارنتها بمن سبقه ومن جاء بعده، وحتى بمؤرخي غير الإباضية في زمانهم.

7. قائمة المراجع:

1. ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،2001
2. بن يعقوب سالم، تاريخ جزيرة جربة ومدارسها العلمية، دار سراس للنشر، تونس، 2006.
3. الباروني سعيد بن يوسف، أبو الفضل أبو القاسم البرّادي، ضمن أعلام من جزيرة جربة، مجموعة محاضرات، جمعية صيانة جزيرة جربة، الشركة التونسية لفنون الرسم، 1994.

[1] – نفس المصدر، ص43، 64.
[2] – نفس المصدر، ص107.
[3] – نفس المصدر، ص120،117،113.

4. الباروني أبو عبد الله محمد بن زكريا، طبقات علماء الإباضية، نسخة حجرية.
5. الباهي أحمد، حول ظهور قبائل دمر وزنزفة ومطماطة بجنوب شرق إفريقية، بحوث في التاريخ والجغرافيا والحضارة، مركز النشر الجامعي، تونس، 2015.
6. البرّادي أبو الفضل أبو القاسم، الجواهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات، تحقيق أحمد السيابي، دار الحكمة، لندن، ط1، 2014.
7. البغطوري مقرين، روايات الأشياخ، تحقيق عمر سليمان بوعصبانة، مكتبة خزائن الآثار، عُمان، ط1، 2017.
8. الجعبيري فرحات، البرّادي أبو الفضل أبو القاسم، الندوة الدولية العلمية الثانية حول: "كتب السير الإباضية"، 30-31أكتوبر-2نوفمبر2014، جربة، تونس.
9. الجعبيري فرحات، شخصيات إباضية، مكتبة الضامري، عُمان، ط1، 2010.
10. الجعبيري فرحات، نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة، المكتبة التاريخية للمعهد القومي للآثار والفنون، تونس، 1975.
11. الحيلاتي سليمان، علماء جربة المسمى رسائل الشيخ سليمان بن أحمد الحيلاتي الجربي، تحقيق محمد قوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998.
12. الدرجيني أبو العباس أحمد، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم محمد طلاّي، غرداية، ط2، 2007.
13. السيابي أحمد، التواصل الإباضي بين عُمان والبلاد المغاربية، مكتبة الضامري، عُمان، ط1، 2014.
14. الشماخي أبو العباس أحمد، كتاب السير، تحقيق محمد حسن، 3 أجزاء، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2009.
15. الشيباني محمد سعد، تاريخ إباضية تمازغا، مقدمة في تاريخ الإباضية ببلاد المغرب في القرون الهجرية الأولى، نسخة الكترونية منقحة تم نشرها من السويد، 2017.
16. عبد الوهاب حسن حسني، كتاب العمر كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، مراجعة محمد العروسي المطوي وبشير البكوش، 3أجزاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990.
17. العدالي سالم، البرّادي حياته وآثاره، أطروحة دكتوراه الحلقة الثالثة، إشراف د. علي الشابي، الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين، الجامعة الزيتونية، تونس، 1982.
18. ليفيتسكي تاديوس، المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة ماهر جرار وريما جرار، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2000.
19. مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية(قسم المغرب)، 4مجلدات، المطبعة العربية، نشر جمعية التراث، غرداية، ط1، 1999.
20. محفوظ محمد، تراجم المؤلفين التونسيين، 5 أجزاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1994.
21. مقديش محمد، نزهة النظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح. علي الزاوي ومحمد محفوظ، مجلدين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.
22. معمر علي يحيى، الإباضية في(تونس) الإباضية في موكب التاريخ(تونس)، مراجعة الحاج سليمان بن إبراهيم بابزيز، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، عُمان، ط3، 2008.
23. النصيبي أبو القاسم ابن حوقل، صورة الأرض، مطبعة بريل، بريل، ليدن، ط2، 1938.
24. Tadeusz Lewicki: Les Ibadites en Tunisie au Moyen Age, Accademia Polacca Di Sienze E Letter; Roma, 1958.
25. Taduesz Lewicki, Une chronique Ibadite, "Kitab As-Sijar" D'Abu'l-Abbas Ahmad As-sammahi, Quelques remarques sur l'origine et l'histoire de la famille des Sammahis, Revue des études islamiques, cahier 1. Paul Geuthner, Paris, 1934.